الفصل الثانى

النظم الإعلامية

- النظم الإعلامية والنظريات الإعلامية
- النظام الاعلامى الشـــرقى
- النظام الاعلامى الغـــربى
- النظام العالمى الجديد للإعلام
- السيطرة الإعلامية الأمريكية
- التبعية الإعلامية فى العالم العربى

النظم الإعلامية و النظريات الإعلامية

يصعب القول على وجود اتفاق عام على تحديد واضح لكلا المفهومين حيث إن هناك نوع من الخلط مابين مفهوم النظم الإعلامية و مفهوم النظريات الإعلامية الأخير ظهر فى نهاية الخمسينيات و بداية الستينيات حيث شاع القول بوجود أربع نظريات للصحافة و الإعلام و هى : السلطة ، الحرية، الشيوعية ، والمسئولية الاجتماعية وهى تقوم على تصورات فكرية و ليست قوانين علمية تم التوصل إليها بأدوات و مناهج بحث علمية ٠

إما النظام الاعلامى فهو بشير إلى خمسة إبعاد : الفلسفة الإعلامية التى يقوم عليها النظام الاعلامى و هى مجموعة المبادىء الأسس الفكرية ، ثم السياسات الإعلامية ، و هى البرامج التطبيقية للفلسفة الإعلامية ، ثم **الإطار** القانوني الذى يترجم الفلسفة الإعلامية إلى تشريعات تحكم العمل فى المؤسسات الإعلامية ، ثم البنية الاتصالية الأساسية و تشمل : تكنولوجيا الاتصال و الموادر البشرية الاتصالية الأساسية و تشمل مستوى تكنولوجيا الاتصال و الكوادر البشرية المتاحة و الإمكانيات المادية و غيرها ... وأخيرا تأتى الممارسات الإعلامية فى الواقع الفعلى ٠

فالنظام الاعلامى فى مجتمع ما ، ليس سوى انعكاس للنظام السياسى و الاجتماعى و الثقافى الحضارى السائد فى هذا المجتمع ودرجة التطور الحضارى به ، وقد حال التعدد فى النظم السياسية من إقامة نموذج اعلامى واحد و انتهى الأمر بوجود نظامين إعلاميين على المستوى الدولى و هما:

١- النظام الاعلامى الغربى انعكاسا للنظام الليبرالي ٠

٢- النظام الاعلامى الشرقى انعكاسا للنظام الاشتراكي

إلا إن كلا النظامين يعد إنتاج لحضارة واحدة و هى الحضارة الغربية الحديثة بإيديولوجيتها المختلفة[1].

أولا: النظام الإعلامى الغربى:

تمثل الولايات المتحدة الأمريكية المركز الرئيسي فيه و تنتمي إليها مراكز اقل أهمية داخل نفس النظام من دول غرب أوربا و كندا واليابان و استراليا ، فى حين تمثل الدول النامية الخاضعة للنفوذ الغربى ، الإطراف الثانوية التابعة.

ويقوم التصورالفكرى لهذا النظام علىالفلسفة الليبرالية بجناحيها الاقتصادى ويتمثل فى الرأسمالية والسياسى ويتمثل فى الديمقراطية.

وينطلق النظام الاعلامى الغربى من حق الفرد فى المعرفة ، مع الأخذ بالتعددية الاتصالية و الملكية الفردية لوسائل الاتصال و رفض إيه قيود تأتى من خارج هذه الوسائل .

إلا إن الممارسة العملية لهذه التجربة أثبتت إن هذه الحرية هى حرية متحيزة لصالح من يملكون الوسيلة الاتصالية، وسيطر الطابع الاحتكاري التجاري وفرض نوع من الرؤى المتشابهة للقضايا والإحداث و التى تتطابق مع سياسات ومصالح الاحتكارات التجارية.

فوسائل الاتصال أصبحت تعتمد على الإعلانات و تسعى لجنى الإرباح و ترسيط دعائم مجتمع الملكية الخاصة الاستهلاكية [٢].

ورغم بعض المساعي الحميدة لإيجاد نوع من الليبرالية الإعلامية التى تربط بين الحرية من ناحية والمسئولية الاجتماعية من ناحية أخرى Social Responsibility Theory إلا إن الطابع الاحتكاري يظل مسيطرا على وسائل الإعلام الغربية بل و ينعكس أيضا على بقية الأنظمة الاتصالية .

ثانيا : النظام الإعلامى الشرقى :

يمثل الاتحاد السوفيتى السابق المركز الرئيسي فى النظام الاعلامى الشرقى وانتمت إليه مراكز اقل أهمية بين دول شرق أوربا فى حين تشكل بعض الدول

النامية الخاضعة للنفوذ الشرقى ، **الإطراف** الثانوية التابعة ٠

وشكلت الفلسفة الماركسية اللينينية **الإطار** الفكرى للنظام الاعلامى الشرقى وتقوم على نقد الليبرالية و اتهامها باستغلال البرجوازية للطبقة العاملة، بينما يقوم البناء السياسى الاشتراكي على ديكتاتورية البروليتاريا ممثلة فى الحزب الشيوعى .

ووسائل الاتصال وفقا لهذا المفهوم هى أداة و سلاح ايديولوجى لتحقيق الأهداف الاشتراكية وفى مقدمة ذلك الملكية العامة و الاجتماعية لوسائل الاتصال كضمان لعدم استغلال هذه الوسائل من قبل الاحتكارات الرأسمالية و الطبقة البرجوازية [٣]

فهناك التزام معلن لوسائل الاتصال فى النظام الشرقى بالارتباط بقضايا و مشكلات المجتمع و بالأيدلوجية الاشتراكية.

إلا إن هذا النظام لم يستطع إن يخفى هويته السلطوية فهو صورة معدلة من النظام السلطوى فى حيز الرقابة المفروضة و كذلك سيطرة و خدمة حزب أو جماعة بعينها كخدمة الحاكم أو الفرد فى النظام السلطوى رغم الصياغات البراقة للنظام الاعلامى الاشتراكي [٤].

إلا إن أعباء سباق التسلح و **البيروقراطية** و انعدام الحريات أدت إلى إحداث نوع من الثورة داخل المجتمعات الاشتراكية ٠٠ كانت ذروتها حركة البروسترويكا و الجلاسنوست (إعادة البناء) التى قادها جورباتشوف فى ١٩٨٥ وكانت أولى **خطوات** انهيار النظام الاعلامى الشرقى و انسياقه فى تلك القطبية الأحادية الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية [٥]٠

ويمكن القول إن **طبيعة** اى من النظامين السابقين تتوقف مدى فعاليتها على حجم المعلومات والحريات المتوافرة داخل النظام الاعلامى والذى هو انعكاس للنظام السياسى وهو الأمر الذى يسمح ببقاء هذه الأنظمة واستمرارها.

ويرى ديفيد ابتر إن عدم اكتمال دائرة المعلومات فى العملية الاتصالية ، أو النقص فى المعلومات التى يجب إن تحملها يؤثران بشكل سلبى فى فاعلية القرار السياسى ،و فى فاعلية النظام السياسى ذاته ٠

ويعقد ابتر مقارنة بين التدفق الاعلامى فى النظم السياسية للدول الديمقراطية والدول النامية، حيث تكون دائرة المعلومات فى الأولى غالبا مكتملة ومستمرة، كما إن تنافسها فى طرح البدائل من خلال نظام اتصال غير قائم ولاشك إن ذلك سيؤثر فى القرار السياسى ومدى رشده ويؤثر فى الاستقرار السياسى كذلك[٦].

النظام العالمى الجديد للإعلام

تشير الإرهاصات الحالية للنظم العالمية إلى إن النظام العالمى ثنائي القطبية(الغربى والشرقى) قد مر بمراحل تشكل عدة خلال أربعة عقود منذ اتفاقية يالتا والتى دعت إلى إيجاد صيغة للاقتسام والتعايش ثم مرحلة المواجهة والسباق النووي فالتعايش الاستراتيجى والسيطرة على المناطق الطرفية حتى ظهور سباق التسلح النووي ومحاولات الحد منه، إلا إن انهيار الاتحاد السوفيتي على يدى جورباتشوف فى الثمانينات من هذا العقد وعدد أخر من المتغيرات والتوازنات العسكرية والاقتصادية والسياسية اظهر الصفة الحاكمة للنظام العالمى الجديد الآن وهى أحادية القطبية من خلال هيمنة القطب الواحد وتمثله الولايات المتحدة.

فالولايات المتحدة تملك مقومات فرض سيطرتها العسكرية والسياسية والاقتصادية على المنطقة الطرفية بما فيها الدول الأكثر تقدما إضافة إلى سيطرتها على المؤسسات والآليات السياسية والاقتصادية لخدمة أهدافها وتحقيق توازناتها القومية والدولية.

فمع نمو ظاهرة النظام العالمى الواحد والتى انعكست على المجال الاتصالى قد خلف ما يسمى ظاهرة النظام الاعلامى الدولى الواحد وتحول القطب الامريكى بالتدرج إلى القطب المهيمن على هذا النظام الواحد حيث تنامت قدراتها الإعلامية مع تحول النظام الدولى من الطابع الثنائى إلى طابع النظام الواحد[٧].

فالولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى فى توزيع برامج التليفزيون تليها انجلترا ثم فرنسا وألمانيا فاليابان.

ويفسر البعض ذلك بان :إذا ما كانت الولايات المتحدة لم تسعد باستعمار سياسى كبعض الدول الأوروبية وفشلت فى الاحتلال العسكرى فى فيتنام فإنها عن طريق التليفزيون والسينما استطاعت إثبات وجودها كقوة مستعمرة من نوع جديد أطلق عليه:

استعمارالكوكا Coca-Cola-Nise(٨).

ومن ابرز تداعيات هذا المفهوم الجديد فى الأحادية القطبية للإعلام من شأنه:إن يهدد بالقضاء على الذاتية الثقافية المستقلة لبقية الشعوب وخاصة مع سيطرة الثقافة الأمريكية التى تعتمد على الاستهلاك وعنصر الربح والترفيه.. كما انه سيحول بقية الشعوب إلى تابع يستهلك ويسود رأى عام عالمى يلبى مصالح القطب الواحد ويحقق إغراضه مما لايتيح الظروف المناسبة لإيجاد رأى عام عالمى ومستنير يعى الإحداث والقضايا الدولية ويساعد فى حلها.

ورغم إن تلك السلبيات تبدو واضحة للعيان؛ إلا إن البعض يرى إن الإعلام الكونى من شأنه إن يسمح بإقامة حوار دائم ومباشر بين الشعوب وان يوحد بين الثقافات المختلفة ويسمح بتبادل نفس المعلومات والآراء والأفكار مما يساعد فى الفهم المشترك، إلا إن هذه الرؤية يشوبها العديد من العقبات فى ظل المتغيرات الراهنة(٩).

أسباب تفوق الاتصال الأمريكى:

ويمكن تفسير التفوق الأمريكى فى المجالات التليفزيونية وفنونها فى ضوء العوامل التالية:

- قدم ظاهرة السينما الأمريكية إلى وضعت استوديوهاتها وكوادرها تحت تصرف التليفزيون .

- استقرار الولايات المتحدة فى بداية عهد التليفزيون فقد اشتعلت الحرب العالمية الثانية بعيدا عن الاراضى الأمريكية.

- ازدهار البحوث الخاصة بالعلوم الإنسانية فى أمريكا لتوافر الإمكانيات .

- ساعدت الحكومة الأمريكية الهيئات المختصة على تطوير البحوث الخاصة بالتليفزيون .

ورغم أن العالم يشهد الآن مولد نظام اعلامى دولى جديد يقوم على هيمنة القطب الواحد - السيطرة الأمريكية - بعد انهيار القطبية الثنائية للنظامين الإعلاميين الغربى و الشرقى ، إلا أن كل تلك الأنظمة تتناقض و بشكل جذري مع النظام الحلم الذى سعت إلى أقامته دول العالم الثالث منذ منتصف السبعينيات واقره المؤتمر العام لليونسكو فى مطلع الثمانينيات ؛ و الذى يقوم على تعديل أسلوب تدفق الإعلام الدولى ليكون أكثر عدلا و توازنا بين الدول المتقدمة و الدول النامية

التبعية الاعلامية فى العالم العربى:

عند محاولة الوصول إلى نظرية إعلامية للعالم العربى يتضح أهمية الابتعاد عن النظريات الجاهزة وعدم تطبيقها على الإعلام العربى لأنها تنبع من واقع مختلف وتستند إلى قيم وحقائق وأفكار مجتمعات ذات تاريط مختلف.

إلا أن الباحثين فى نظم التبعية يرون أن تخلف العالم الثالث أو تبعته بمعنى أدق للعالم الرأسمالي المتقدم يرجع إلى خضوعه للسيطرة الاستعمارية لعدة قرون وقد تشكلت الأنظمة السياسية والأوضاع الاجتماعية والثقافية فى دول العالم الثالث من خلال وصفها كمجتمعات تابعة داخل النسق العالمى، وان كانت هذه التبعية تستمد جذورها التاريخية من المرحلة الاستعمارية السابقة فان استمرارها يتأكد بفعل مجموعة من القيم والمقومات الموضوعية والذاتية مثل؛ التفاوت فى مصادر القوة والنفوذ بين الدول الصناعية المتقدمة والتى تحتكر مصادر القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية وبين الأغلبية الساحقة من شعوب العالم التى تفتقر إلى الحد الأدنى من هذه المصادر. وتتركز المصادر الإعلامية والثقافية من حيث الإنتاج والتوزيع بكافة أشكاله فى نفس الدول التى تحتكر مصادر الثروة الأخرى.

اما غالبية الدول من العالم الثالث فهى تستقبل ما ترسله إليها هذه الدول ونتج عن ذلك عدم توازن ملحوظ فى تبادل المعلومات والإنباء بين الأقلية من الدول الغربية المسيطرة على وسائل الإعلام والأكثرية من الدول النامية.

وكذلك يصبح تدفق المعلومات فى اتجاه واحد من العالم الصناعى المتقدم إلى العالم الثالث ومن هذه العلاقة غير المتكافئة تبرز الحلقة الرئيسية وهى التبعية التى تسود أغلبية دول العالم الثالث ولعل **اخطر** أنواع التبعية هى ما يتعلق بمضمون الوسائل الإعلامية وابرز ما يميزها،هو انعدام العلاقة بين مضمون المواد الإعلامية وبين الواقع الاجتماعى والثقافي السائد فى الدول النامية ، وطبيعة المشكلات التى تواجه هذه الدول[١١].

وعليه فان مسألة النظم الإعلامية المختلفة تفرض دلالات واضحة على مدى التقارب ما بين النظام السياسى الموجود فى الدولة أو السائد فى الإقليم وبين ملامح النظام الاعلامى الموجود والذى يسعى من خلال أدواته المختلفة إلى تنفيذ منهجية وفلسفة هذا النظام السياسى بشكل أو بأخر .

مـراجع الفصـل الـثانى

١ـ فاروق أبو زيد ،انهيار النظام الاعلامى الدولى،من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد،إخبار اليوم،١٩٩١،صص:١١-١٣.

٢- شيللر.م.هيربرت،المتلاعبون بالعقول،عالم المعرفة،الكويت،١٩٨٦،ص ص:٣٠-٣١.

٣ـ فابر فرانز:الصحافة نظرية وممارسة(اتحاد الصحفيين السوريين وجمهورية ألمانيا الديمقراطية دمشق/ ،١٩٨٤،ص ص:١٣-٢٣.

4 - dimitro v.george:the press is a great force,international organization of journalists,prague,1973,pp:12-23

٥- حنان يوسف ، المعالجة الإخبارية للقضايا العربية فىشبكتى Cnn & Euronews ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،٢٠٠١ ، ص ص: ١٢١-١٣٨.

٦- -بسيونى حمادة، دور وسائل الاتصال فى صنع القرارات فى الوطن العربى ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،١٩٩٣،ص:٥٢.

٧- عصام الدين جلال،اثار تجميد صفة الأحادية القطبية على المصالح العربية،الأهرام،القاهرة،١٩٩٩/٦/٩،ص.٢٣.

٨-انشراح الشال، دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى،مدخل فى علم الاجتماع الاعلامى،نهضة الشرق ،القاهرة،١٩٨٥،ص:١٦٦.

٩- لمزيد من التفاصيل انظر :

- ماك براید ، تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال،أصوات متعددة وعالم واحد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ص:٢٦٤-٢٦٥.

-unesco general conference, summery report,19th session , nairobi,1976.

- مصطفى المصمودى،النظام الاعلامى الجديد،المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،عالم المعرفة،الكويت،١٩٨٥،ص ص:٩٣-٩٦.

- محمد فتحى،عالم بلا حواجز، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٢،ص ص:٨٥-٨٦.

-جيهان رشتى ، الإعلام الدولى ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦ ، ص : ٣٣٠.

- Hester , international information flow in merrill & fischer , h. (eds.) , international * intercultural com. N.y , hasting house publishers , inc., 1976 , pp : 242 – 250.

١٠- منى الحديدى ، وشاهيناز طلعت ، التوازن المفقود فى المعلومات ، دراسة تحليلية ميدانية ، الأهرام الاقتصادى ، ١٩٨٧/٩/٢٨ ، ص. ٦٦ : ٧٣.

١١- انظر :

أ)-الإعلام العربى.حاضرا ومستقبلا، تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال فى الوطن العربى، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،إدارة الإعلام،١٩٨٧،ص:٦٢.

ب)-عواطف عبد الرحمن ،قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث،عالم المعرفة،العدد ٧٨،الكويت:المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،١٩٨٤.